المقاومة السياسية في الجزائر و اتجاهاتها خلال القرنين 19 و 20م

أ- بوادر المقاومة السياسة في الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي 05 جويلية 1830:

تجلت ردود الأفعال الأولية على جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر في شكل عرائض احتجاجية من طرف اعيان الجزائر ومنهم إبراهيم بن مصطفى باشا ومحمد بن العنابي وأحمد بوضربة وحمدان بن عثمان خوجة ومنها:

1- عريضة موجهة إلى الجنرال بيرتزين سنة 1831م وتطالب باحترام الاتفاق المبرم بين الداي حسين باشا والجنرال ديبورمون، والاحتجاج على الاستيلاء على أملاك المسلمين دون غيرهم.

2- رسالة شخصية من حمدان خوجة رئيس لجنة المغاربة إلى ملك فرنسا لويس فليب في 10 جويلية 1833، طالبه من خلالها بالجلاء السريع للجيش الفرنسي عن الجزائر.

3- عريضة أعيان قسنطينة إلى البرلمان الإنجليزي تكشف المخالفات والاعتداءات الفرنسية من هدم للمساجد ومصادرة لأراضي الجزائريين.

كما اعتمدت النخبة السياسية في الجزائر على أسلوب المقاطعة للمؤسسات الاستعمارية الساعية إلى القضاء على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية من عروبة وإسلام، وأمام تصاعد القمع العسكري الفرنسي تجاه المطالب السياسية للنخبة الجزائرية لجأ العديد من رموزها إلى الهجرة هروبا من سياسة الاستعمار نحو الأقطار المجاورة أو نحو أقطار العالم الإسلامي أين وجدوا كل الدعم والتأييد في مقاومتهم السياسية والفكرية ضد الوجود الاستعماري الفرنسي.

ب- إتجاهات المقاومة السياسية في الجزائر خلال القرن 19 ومطلع القرن 20م:

1- لجنة المغاربة: هي أول حزب سياسي نظمه الجزائريون بزعامة حمدان بن عثمان خوجة، تشكلت مباشرة بعد توقيع معاهدة الاستلام في 05 جويلية 1830م، وهو حزب مكون من الأعيان والبرجوازيين ومثل أول حركة سياسية منظمة ضد فرنسا، وتجلى نشاط الحزب في رفع العرائض والاحتجاجات نحو الدوائر الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وفرنسا، مذكرا لها ببنود معاهدة الاستسلام، كما طالب بالجلاء السريع للقوات الاستعمارية الفرنسية عن الجزائر.

2- كتلة المحافظين: تشكلت هذه الكتلة مع بداية القرن 20م، وتتكون من المثقفين التقليديين والزعماء الدينيين وبعض الاقطاعيين والمرابطين، ومن أهم الشخصيات التي قادت هذا التيار: عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سماية، مولود بن موهوب، وعمر بن قدور، وابن رحال... وقد نشطت هذه الجماعة من خلال تأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية ويشمل برنامجهم النقاط التالية:

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والمستوطنين الأوربيين.

- معارضة سياسة التجنيس والتجنيد الاجباري.

- المساواة في الضرائب، وحرية الهجرة.

- إلغاء قانون الأهالي وكل الإجراءات التعسفية.

- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية.

- احترام عادات وقيم الجزائريين، وإصلاح ونشر التعليم بالعربية ووفق المبادئ الإسلامية.

3- **جماعة النخبة:** تشكل هذا الاتجاه مع مطلع القرن 20م، ويتكون بصفة عامة من الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة العربية والفرنسية، كالمترجمين والأطباء والمحامين، ومن أهم مطالبهم:

- استفادة الجزائريين من جميع الحقوق المدنية في ضل الوجود الاستعماري الفرنسي.

- حق الجزائريين في التمسك بأحوالهم الشخصية.

- إلغاء قانون التجنيس (سيناتوس – كونسلت 1865م).

إن تبلور النضال السياسي في الجزائر مطلع القرن 20م كان نتيجة منطقية لتطور الوعي السياسي لدى الشعب الجزائري، وإدراكه أن استمرار المقاومة المسلحة لن يجدي نفعا بفعل اختلال موازين القوى بين المقاومة والمحتل، بل تعطي للمستعمر المبرر لمواصلة سياسته العدوانية ويمكن إيجاز عوامل تغيير أسلوب النضال مع مطلع القرن 20م مع بقاء نفس الأهداف في ما يلي:

- فشل المقاومات الشعبية في تحرير البلاد.

- استغلال فرنسا المقاومات المسلحة كذريعة للتمادي في مصادرة الأملاك والنفي والتقتيل.

- ظهور نخبة مثقفة قادت المقاومة السياسية.

- تطور الوعي السياسي لدى الجزائريين، خاصة بعد الإعلان عن مبادئ ويلسن 14 خلال الحرب العالمية الأولى وأبرزها حق الشعوب في تقرير مصيرها.

ج - تبلور اتجاهات المقاومة السياسية في الجز ائر خلال فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية :

1- الإتجاه الإصلاحي: مثلت هذا الاتجاه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست في 05 ماي 1931م بالعاصمة في نادي الترقي، وجمعت 72 علما من مختلف أنحاء القطر الجزائري، وترأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولجمعية العلماء المسلمين برنامج ذو ثلاثة أبعاد: دينية، واجتماعية، وسياسية، رغم أن البعد الأخير لم يكن صريحا لدى علماء الجمعية، وتبلور برنامجها في النقاط التالية:

- فصل الدين عن الدولة.

- التعريف بمبادئ الدين الإسلامي الصحيح.

- محاربة البدع والخرافات وكل مظاهر الضلال التي كانت تروج لها الطرقية.

وقد اعتمدت الجمعية في تحقيق أهدافها الإصلاحية على عدة وسائل نذكر منها:

- إنشاء المدارس الحرة لنشر التعليم والقضاء على الأمية.

- تسخير الصحافة للتعريف بأهداف الجمعية ومبادئها وفضح تجاوزات الاستعمار.

- تأسيس النوادي الثقافية لنشر الوعي وتمكين الشباب من الانفتاح على النشاط السياسي والإصلاحي.

- التكثيف من المحاضرات لتوعية الجزائريين وتحسيسهم بمؤامرات المستعمر الهادفة إلى طمس الهوية الوطنية.

2 – الاتجاه الاستقلالي: مثل هذا الاتجاه حزب نجم شمال إفريقيا والذي كان استمرار وتطورا لحزب الإصلاح الذي أسسه الأمير خالد بعد الحرب العالمية الأولى والذي حاز على شعبية واسعة بين الجزائريين، لما يتضمنه برنامجه من أفكار إصلاحية تدعوا إلى المساواة بين الجزائريين والفرنسيين مع احترام الهوية الإسلامية للشعب الجزائري، هذه الأفكار لم تمت بعد نفي الأمير خالد ومنعه من النشاط السياسي، بل تواصل النضال الذي توجد بتأسيس نجم شمال إفريقيا من طرف العمال المغتربين بفرنسا سنة 1926، وكان أكثرهم من الجزائريين، ونصب الأمير خالد رئيسا شرفيا له، وفي سنة 1927م أصبح الحزب تنظيما جزائريا خالصا بزعامة مصالي الحاج.

كان المطلب الأساسي للحزب هو تحقيق الاستقلال التام والغير مشروط، وشكل هاجسا حقيقيا للسلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، فحل في العديد من المناسبات وأعيد تأسيسه باسم حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937م، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946م، وأسس جناحا عسكريا له عرف باسم المنظمة الخاصة في فيفري 1946م، وأهم ما تضمن برنامجه ما يلي:

- جلاء الجيش الفرنسي والاستقلال الكامل للجزائر.

- إنشاء جيش وطني جزائري.

- مصادرة الأملاك الزراعية من المستوطنين والشركات الإقطاعية.

- إرجاع الممتلكات والأراضي والغابات التي سلبتها السلطات الفرنسية من الجزائريين.

- إلغاء قانون الأهالي، وضمان حرية الصحافة والحرية السياسية والنقابية في الجزائر.

- إنشاء مجلس وطني ومجالس بلدية منتخبة.

- فتح المدارس العربية، وضمان حق التعليم لكل أبناء الشعب الجزائري.

3- الاتجاه الإدماجي: مثل هذا الاتجاه مجموعة من المثقفين الجزائريين المتأثرين بفرنسا وثقافتها، وتمحورت أفكارهم حول الادماج الكلي للجزائر بفرنسا أرضا وشعبا، شريطة أن يتمتع الجزائريون بكل الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون مع قبول مبدأ التخلي عن الأحوال الشخصية للجزائريين، وتبلور هذا الاتجاه رسميا في فيدرالية المسلمين الجزائريين

المنتخبين في 11 سبتمبر 1927م، ومن رموزها محمد الصالح بن جلول، وفرحات عباس، والدكتور ابن التهامي، وكان من أهم مطالبه:

- تعديل قانون التجنيد الإجباري.

- المساواة في الحقوق السياسية بين الأهالي والفرنسيين.

- إلغاء قانون الأهالي ونظام الخماسة.

- الحق في التمثيل النيابي للجزائريين.

- المطالبة بالجنسية الفرنسية وتشجيع الهجرة إلى فرنسا، ونشر التعليم والثقافة الفرنسية.

- التعليم الإجباري باللغة العربية والفرنسية.

وبعد المؤتمر الإسلامي في 07 جوان 1936م، ظهر اتجاهان داخل هذه الفدرالية هما:

- **التجمع الفرنسي الإسلامي الجزائري:** يتزعمه الدكتور بن جلول.

- **إتحاد الشعب الجزائري:** يتزعمه فرحات عباس.

كان لفرحات عباس دورا بارزا في قيادة الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية من خلال مبادرته التي طرحها في بيان 10 فيفري 1943م، وحزب جبهة أحباب البيان والحرية 1944م، وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1946م، حيث تطورت مطالب فرحات عباس من فكرة الإدماج إلى فكرة إقامة دولة جزائرية بعد أن تأكد من عقم سياسته السابقة أمام تصاعد القمع العسكري الفرنسي في وجه الحركة الوطنية الجزائرية وذلك ما أكدته أحداث 08 ماي 1945م.

د- نتائج المقاومة الوطنية ودورها في التمهيد لثورة نوفمبر 1954م.

إن نضال الشعب الجزائري بشقيه السياسي والعسكري منذ بداية التواجد الاستعماري الفرنسي على أرض الجزائر قد أثمر عن عدة نتائج هيأت لقيام الثورة التحريرية الجزائرية المجيدة في الفاتح من نوفمبر 1954م، وتمثلت تلك النتائج فيما يلي:

- استمرار رفض الشعب الجزائري للوجود الاستعماري الفرنسي واستمرار روح المقاومة عبر مناهج أساليب مختلفة.

- أدت المقاومة المستمرة إلى إفشال المخططات الاستعمارية الفرنسية الهادفة إلى وإذابة الشخصية الوطنية والقضاء عليها.

- حافضت المقاومة الوطنية على وحدة التراب الجزائري من خلال من خلال استمراريتها وانتشار وجودها العسكري والسياسي، رغم محاولات الاستعمار المتعددة لتشتيتها.

- أدرك الشعب الجزائري أهمية الوحدة والوقوف في وجه السياسة والاستعمارية، فعمل على توحيد مواقفه رغم الاختلافات الفكرية، وذلك ما تجلى في المؤتمر الإسلامي 1936م، و بيان فيفري 1943م، وجبهة أحباب البيان والحرية 1944م، وجبهة الدفاع عن الحرية 1951م.

- تمكنت المقاومة الوطنية بأساليبها ووسائلها المختلفة من نشر الوعي وتكوين جيل المستقبل الذي قاد الثورة التحريرية الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954م.

مصادرومراجع المحاضرة:

- عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي من البداية لغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

- جون وولف، الجزائر وأوربا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1515-1543)، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980.

- نصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

- أبو القاسم سعد الله، أضواء تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

- فرناند بروديل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، تر: عمر سالم، منشورات وزارة الثقافة تونس، 1990.

-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492- 1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1965.

- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ الجزائر الحديث، ج01، الجزائر، 1985.

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الحياة، بيروت، 1980.

- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، دار البصائر للنش ر والتوزيع، الجزائر، 2011.